بسم الله الرحمن الرحيم

خطبة شاملة، ومنقحة، بعنوان:

مظاهر عناية الإسلام بالطفولة

آيات الطفولة في القرآن: دلالات فقهية وتربوية

نموذج الأبوة النبوية في رعاية الأطفال

رسالة عاجلة للمسلمين في كل مكان بخصوص الأطفال

الدكتور/ أحمد علي سليمان

عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية

الجمعة: ٦ رجب ١٤٤٧هـ / ٢٦ ديسمبر ٢٠٢٥م

الحمدُ للهِ رَبِّ العالَمِينَ، القائل: (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) (الأنعام: ٥٩).

والصَّلاةُ والسَّلامُ على سَيِّدِنا مُحَمَّدٍ (ﷺ)، سَيِّدِ الأَوَّلِينَ والآخِرِينَ، وخِتامِ الأَنْبِياءِ والمُرْسَلِينَ، ورَحْمَةِ اللهِ لِلْعالَمِينَ...

اللَّهُمَّ صَلِّ صَلاةً تامَّةً، وسَلِّمْ سَلامًا تامًّا، على نَبِيٍّ تَنْحَلُّ بِهِ العُقَدُ، وتَنْفَرِجُ بِهِ الكُرَبُ، وتُقْضَى بِهِ الحَوائِجُ، وتُنَالُ بِهِ الرَّغائِبُ، وحُسْنُ الخَواتِيمِ، ويُسْتَسْقَى الغَمَامُ بِوَجْهِهِ الكَرِيمِ، وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ، ومَن سارَ على دَرْبِهِ، في كُلِّ لَمْحَةٍ ونَفَسٍ، عَدَدَ ما وَسِعَهُ عِلْمُ اللهِ، وسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا...

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَلِيُّ الصَّالِحِينَ، وَقَيُّومُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ.. وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، إِمَامُ الْمُرْسَلِينَ، وَقَائِدُ الغُرِّ المُحَجَّلِينَ..

عِبَادَ اللهِ: أُوصِيكُمْ وَنَفْسِيَ الْمُقَصِّرَةَ بِتَقْوَى اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ)؛ فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ، زَادُ الْمُتَّقِينَ، وَنُورُ الْمُهْتَدِينَ، وَسَبِيلُ الفَوْزِ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمِ الدِّينِ.. قال اللهُ تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢) ، فَاتَّقُوا اللهَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَفِيمَا أَمَّنَكُمْ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَطِيعُوهُ فِي مَا أَمَرَكم وأوجب، وَاجْتَنِبُوا مَا نَهَكم عَنْهُ وَزَجَرَ، فَمَنْ اتَّقَى اللهَ فَازَ بِرِضْوَانِهِ وَنَعِيمِهِ، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْه خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ...

اللهم اجعلنا مِن الذين قال الله (تعالى) فيهم: (تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) (السجدة: ١٦)...

عبد الله: إذا استطعت ألا يسبقك أحد إلى الله فافعل...

دعاء:

اللهم أذهِب عنّا كلّ خوفٍ وحُزْنٍ وحَزَنٍ وهَمّ وتوتّر وقلق وفقر ودَين ويأس، وارزقنا المحبةَ لك، والإيناسَ بك، والسكينةَ منك، واجعلنا يا ربنا من المتفيّئينَ في رحابك، الآنسينَ بجنابك، والمؤنسينَ لخلقك، واجعل قلوبنا مطمئنة بذكرك، وأعمالنا خالصة لوجهك، وجوارحنا ناطقة بذكرك...

اللهم ارزقنا حُسْنَ الفهم، وابعِدنا عن ظلماتِ الوهم، واجعلنا مِن المطمئنين، ومِن المحسنين، ومِن الفائزين، ولا تجعلنا مِن الواهمين، ولا مِن الخاسرين، ولا مِن الأخسرين يا رب العالمين...

#الدكتور_أحمد_على_سليمان

أيها المؤمنون:

نَتَحَدَّثُ اليومَ عن أَغْلَى ما نملك في هذه الحياة، نَتَحَدَّثُ عن الأطفالِ فَلَذَاتِ أكبادِنا التي تَمْشِي على الأرض، داعينَ اللهَ (سبحانه وتعالى) أن يَجْعَلَهُمْ هداةً مهتدين، صَالِحِينَ مُصْلِحِينَ، ناجحين ناجين، غيرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ، يا ربَّ العالمين...

دقّة المنهج القرآني في مراعاة النموّ النفسي والعقلي للطفل

آيات الطفولة في القرآن الكريم: دلالات فقهية وتربوية

عُنِي الإسلامُ بالطفلِ عنايةً بالغة، وجاءت هذه العناية واضحة المعالم في الوحي الشريف المعصوم (قرآنًا وسنة)، حيث لم يَغفل عن مرحلة الطفولة، ولم يتعامل معها على أنها طورٌ عابر، بل قدّمها بوصفها مرحلة تأسيس وبناء في حياة الإنسان، تتعلّق بها أحكام، وتُبنى عليها مسؤوليات جسام.

وقد ورد لفظ (الطفل) في القرآن الكريم أربعَ مراتٍ صراحةً:

- مرتين بصيغة (**طفلًا**)
- ومرةً بصيغة (**الطِّفْل**)
- ومرةً بصيغة (**الأطفال**)[(١)].

ولقد اعتنى القرآن الكريم ببيان مراحل تكوين الإنسان ونموّه عنايةً دقيقة، لا بوصفها انتقالاتٍ بيولوجية فحسب، بل باعتبارها **محطات تربوية وتشريعية**، يتدرّج فيها التكليف، وتتبدّل فيها المسؤوليات، وتتشكّل خلالها النفس والعقل والسلوك.

ومن أظهر هذه المراحل وأكثرها حساسية مرحلة الطفولة؛ التي تأتي ضمن سياق المراحل الإنسانية في القرآن.

ففي موضعين، عُرضت الطفولة ضمن سلسلة الخَلق الإنساني؛ لتأكيد ضعف الإنسان في بداياته، وحاجته إلى الرعاية والعناية والاهتمام البالغ مع التدرّج...

وفي موضعين آخرين، ورد ذكر الطفل في سياق الأحكام الشرعية...

وتأتي آيات الطفل في سياقين متكاملين:

السياق الأول: السياق الكوني الخَلقي (سورة الحج – سورة غافر)

فيه يَعرض القرآن المسار الوجودي للإنسان:

(١) انظر المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، للأستاذ الكبير/ محمد فؤاد عبد الباقي، القاهرة، دار الشعب، ص ٤٢٧.

(خلق ← حمل ← ولادة ← طفولة ← بلوغ ← قوة ← ضعف ← وفاة...).

(ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا)

في هذا السياق تُقدَّم الطفولة بوصفها:

- مرحلة ضعف واعتماد على الآخرين.
- وبداية الوعي والتلقي.
- ونقطة الانطلاق في التكوين النفسي والعقلي.

والثاني: السياق التشريعي الاجتماعي (سورة النور)

وفيه تُربط الطفولة بـ:

- العفّة.
- الخصوصية.
- التربية على الحياء.
- التدرّج في التكليف.

(أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ) (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ)

وهذا يدل على أن الطفولة مرحلة لها أحكامها الخاصة، لا يُعامل فيها الطفل معاملة البالغ، ولا يُترك بلا توجيه... مما يكشف عن دقّة المنهج القرآني في مراعاة النموّ النفسي والعقلي للطفل.

ومن خلال هذه الآيات تتجلّى نظرة الإسلام الحنيف إلى الطفل بوصفه:

- ✓ مخلوقًا مكرّمًا من الله (سبحانه وتعالى) منذ نشأته الأولى.
- ✓ وأمانةً عظيمةً مؤتمنًا عليها، تُربّى بالرعاية والرعاية ولا تُهمَل.
- ✓ وكيانًا يتدرّج في الوعي والمسؤولية حتى يبلغ حدّ التكليف.

وفيما يلي عرض الآيات الكريمات التي ورد فيها ذكر الطفل ببعض المشتقات صراحة، مع الوقوف على دلالاتها التربوية والفقهية، ودورها في بناء الإنسان الصالح منذ طفولته الأولى.

الآية الأولى: قال الحق سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ **طِفْلًا** ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ) (الحج: ٥) .

الآية الثانية: قال تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ **طِفْلًا** ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (غافر: ٦٧) .

فالآيتان السابقتان –عمومًا– تُقرّران بوضوح سُنَّة التدرج في الخلق الإنساني: من التراب، ثم النطفة، ثم العلقة، ثم الخروج طفلًا، ثم بلوغ الأشد... كلتاهما **تؤكدان أن مرحلة الطفولة محطة تأسيسية في مسار الإنسان**، قبل اكتمال القوة والعقل والمسؤولية...

مع الأخذ في عين الاعتبار أن آية سورة الحج تسوق المراحل في سياق الاستدلال على البعث، وتضيف تفصيلًا دقيقًا في الخلق (مخلقة وغير مخلقة)، وإشارةً إلى القدرة الإلهية بإحياء الأرض بعد موتها.

في حين أن آية سورة غافر تعرض المراحل في سياق التذكير بالعقل والتفكر، وتضيف مرحلة الشيخوخة صراحة، وتختم بنداءٍ للعقل: (وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ).

وبالجملة.. تُظهر الآيتان أن الإنسان مخلوق ضعيف في بدايته، يتدرج في القوة والعقل بإرادة الله (سبحانه وتعالى)، مما يستلزم:

- ✓ **الرعاية في الطفولة.**
- ✓ **والشكر في القوة**
- ✓ **والاعتبار عند الضعف.**

الآية الثالثة: قوله تعالى: (وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ **الطِّفْلِ** الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (النور: ٣١) .

وهذه الآية تتناول مرحلة ما قبل الإدراك الجنسي؛ وأن الطفل غير مسؤول عن أحكام العورة بشكل كامل، ذلك أن الشرع خفف الأحكام عنه.

الآية الرابعة: قول الله (جل وعلا): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ . وَإِذَا بَلَغَ **الْأَطْفَالُ** مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (النور: ٥٨-٥٩) .

وتتضح هذه الحكمة العظيمة في القرآن الكريم، فالآية الرابعة تتناول مرحلة ما بعد البلوغ، حيث ينتقل الطفل إلى دائرة التكليف، ويتحمّل المسؤولية الشرعية، مثل: الاستئذان واحترام الخصوصية.

ويا لعظمة هذا القرآن العظيم!!، إذ نجد أن التشريع الإسلامي يتدرج "وَحْدَة وَحْدَة" مع نمو الطفل عقليًّا وجسديًّا، فلا فجائية في التطبيق، بل يُأخذ دائمًا في الاعتبار قدراته ونضجه.

وإذا كان الإنسان بحاجة إلى مَن يُحبّه ويُثني عليه وعلى أخلاقه وجهوده وإتقانه وإبداعه...إلخ، فإنه في الوقت نفسه يحتاج إلى مَن يُوجهه ويصحّح مساره، فهذا هو ميزان الحكمة الإلهية: (الحب الذي يغرس الأمان، والتوجيه الذي يزرع الوعي والانضباط، ومعهما يكتمل بناء الإنسان عقليًّا وأخلاقيًّا وروحيًّا...)، ولنا في التربية النبوية الشريفة المثال والقدوة والنبراس...

الدلالات التربوية للطفولة في القرآن الكريم

- **الطفولة مرحلة تهيئة لا تكليف**

القرآن لا يُحمّل الطفل ما لا يطيق، لكنه:

- يهيّئه نفسيًّا.
- ويعوّده سلوكيًّا.
- ويؤسّسه أخلاقيًّا.
- فالطفل غير مكلَّف، لكنه يُربَّى.

- **التربية على الحياء تبدأ مبكرا**

ربطُ الطفولة بأحكام الاستئذان يدل على أن:

- الحياء قيمة تُغرس قبل البلوغ.
- وصيانة الجسد والنظر، تُعلَّم قبل التكليف.

وهذا ردّ قرآني صريح على التربية المتراخية التي تؤجّل القيم حتى الكِبر.

- **التدرج سنة ربانية في التربية**

قال تعالى: (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) (النور: ٥٩) .

فالانتقال:

من عدم الإلزام ⟵ إلى ⟵ الإلزام.

ومن التوجيه ← إلى ← التكليف.

يتم تدرّجيًّا، لا فجائيًّا.

- **الطفولة أمانة لا ملكية**

ذكر الطفولة في سياق التشريع يدل على أن:

الطفل **ليس ملكًا لوالديه**، بل **إنه أمانة** بحدود وضوابط، وأن **تربيته مسؤولية شرعية** لا اجتهادًا شخصيًّا.

الدلالات الفقهية المستفادة من آيات الطفولة

- **انتفاء التكليف الشرعي قبل البلوغ**

دلّت النصوص القرآنية ونصوص السنة المشرفة وتطبيقاتها، على أن مرحلة الطفولة مرحلة رفع التكليف؛ فلا تجب فيها الفرائض، ولا تترتّب المؤاخذة على التقصير؛ إذ لم تكتمل بعدُ أهلية الخطاب الشرعي.

غير أن هذا الرفع لا يعني الإهمال، بل **يثبت للطفل التوجيه والتمرين والتعويد**، فيُؤمَر **بالصلاة والآداب والأخلاق على جهة التربية، لا على جهة الإلزام، تمهيدًا لمرحلة التكليف الكامل**.

- **التفريق بين الطفل غير المميز والطفل المميز**

قال تعالى: ﴿أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾

تُفيد الآية أن الطفولة ليست مرحلة واحدة متجانسة، بل تتدرّج في الوعي والإدراك؛ فثمّة طفل:

غير مميِّز: لا يدرك العورات ولا يفقه معانيها، فلا تجري عليه بعض الأحكام.

وطفل بدأ يميِّز ويعي: فيُلحق بأحكامٍ تربوية وضبطية أشدّ، مراعاةً لنمو وعيه.

ويترتّب على هذا التفريق اختلاف المعاملة الشرعية والتربوية، وهو أصل دقيق في فقه الأسرة والتنشئة.

- **البلوغ حدٌ فاصل في انتقال الأحكام**

جعل القرآن البلوغ علامة فاصلة بين مرحلتين متباينتين: (مرحلة التربية والتهيئة – ومرحلة التكليف والمسؤولية)

فعند البلوغ:

- يبدأ التكليف الشرعي
- وتَلزم أحكام الاستئذان كاملة
- وتثبت المسؤولية الدينية والأخلاقية والحقوقية

وهذا الانتقال ليس مفاجئًا، بل ثمرة إعدادٍ سابقٍ أحكمته التربية قبل البلوغ.

وهكذا فإن تناول القرآن الكريم للطفولة لم يكن ذكرًا فقط في سياق الأحكام، بل تأسيسًا لمنهج رباني متكامل، يربط بين الخلق، والتربية، والتشريع، وبناء الإنسان المتوازن.

فالطفولة في التصور القرآني مرحلة تأسيس وبناء لا إهمال، وهي الجذر الذي تُبنى عليه شخصية الإنسان مستقبلًا؛ ومن أُحسن غرس الجذر، أينعت الثمرة، ومن أُهمل الأصل، فسدت الفروع.

ونقول دائما:

- مَن طاب أصله طاب فرعه وفعله؛ فلا يثمر الغصن إلا من طيب جذوره.
- ومَن طابت تربيته، طابت حياته وحياة المحيطين به، وطاب أثره.
- استثمر في تربية ولدك؛ حتى تضمنُ نجاحَه وفلاحَه وصلاحَه، ودعاءَه لك بعد موتك.

اللهم نجّنا بعزتك من مفاجآت الأقدار، واصرف عنا فواجعَ الأيام، وامنحنا مِن رحمتك وقوتك ما يُهون به علينا المحنَ ما ظهرَ منها وما بَطَنَ يا رب العالمين.

مكانة الطفل في الإسلام

الطفل الصغير هدية غالية جدًّا، فهو صنيعة الله، وعطية منه (جل وعلا)، وحقيق على كل مَنْ مَنَّ اللهُ عليه بها أن يشكر الله على هذه النعمة ليل نهار.

والطفل في منظور الإسلام "أمانة"، وهبة إلهية عظيمة... وقد وصف القرآن الكريم الأبناء بأنهم زينة الحياة الدنيا: قال تعالى: (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ...) (الكهف: ٤٦).

ولما كان الطفل الصغير عجينة غالية جدًّا، فيجب علينا أن نشكلها على أفضل ما يكون، ولا يُعين على سَوِيّة النشأة إلا باحترام الذات الإنسانية. وقد حثَّت السُّنة النبوية المطهرة على التعامل مع الطفل باللين والرحمة، فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) أن النبي (ﷺ) قال: (لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا) [٢]..

وتمثل مرحلة الطفولة أهمية كبرى في حياة الأُسر، والأمم، والشعوب، والحضارات؛ نظرًا لما يترتب على حسن الاهتمام بها ورعايتها مِن نفع عميم، سواء للطفل أو للأسرة أو للمجتمع والإنسانية جمعاء.

والإسلام لم يكتفِ فقط بوضع تشريعات عامة لرعاية الطفل؛ بل سبق الحضارات في تأسيس منظومة شاملة ودقيقة ومفصلة لذلك –كما سنرى– تبدأ قبل وجود الطفل أساسًا، وتستمر طوال مراحل حياته؛ لأن الطفولة ليست مجرد مرحلة عابرة، بل هي فترة تأسيسية، تُبنى عليها شخصية الإنسان، وذلك من خلال:

- تربية أفراد المجتمع (فتية وفتيات)، ليكونوا أعضاء نافعين، صالحين، قادرين على تحمل المسؤولية وبناء الأُسر.
- الدعوة إلى حسن اختيار الشريك في الزواج؛ لتأسيس أسرة مستقرة، قادرة على توفير بيئة سليمة لنشأة الأطفال.
- الدعاء بالذرية الصالحة، كما جاء في دعاء سيدنا زكريا (عليه السلام): (... هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ ۖ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ) (آل عمران: ٣٨)..
- الاهتمام بالطفل جنينًا في بطن أمه.

مرورًا بالاهتمام بالطفل بعد الولادة وحسن اختيار اسمه، وتعاهده بالعناية والرعاية والتغذية والتنشئة والتهذيب، والاهتمام برعايته الجسدية والنفسية والوجدانية؛ حتى ينشأ الطفل متزنًا ومتحليًا بمكارم الأخلاق، وسويًّا في أقواله وأفعاله وسلوكه...إلخ، كما سنفصل فيما يلي:

وهكذا ينبع اهتمام الإسلام البالغ بالطفل انطلاقًا من مكانته في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة:

فالطفلُ **هدية** الله.

الطفلُ **منحة** الله.

الطفلُ **منّة** الله.

الطفلُ **عطية** الله.

الطفلُ **أمانة** من الله، والإنسان **محاسب** عليها أمام الله.

وقد أكد الإسلام على أن الطفل أمانة ومسؤولية، ويُحاسب الآباء على تقصيرهم في حقوق أولادهم، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ...) (التحريم: ٦)، وقال النبي (ﷺ): (كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ...) [٣]، بل إن حسن التربية، تسهم في تكوين ولد صالح، يدعو لوالديه بعد وفاته، يقول النبي (ﷺ): (إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عنْه عَمَلُهُ إِلَّا مِن ثَلَاثَةٍ: إِلَّا مِن صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِح يَدْعُو له) [٤].

تعريف الطفل:

الطِّفْل: بالكسر هو الصغير مِن كلّ شيء، وهو الولد ما دام ناعمًا.

والطفل يُطلق على الذَّكر والأنثى والجماعة، فالعرب تقول: جارية طفل، وجاريتان طفل، وجوار طفل، وغلام طفل، وغلمان طفل، ويقال: طفل وطفلة، وطفلان وطفلتان في القياس، وأطفال ويقال: طِفْلات.

الطفل عند الفقهاء: هو الصبي حين ينزل من بطن أمه إلى أن يحتلم[٥] .

---

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، وهو صحيح على شرط مسلم.

(٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٤) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٥) المغرب في ترتيب المعرب ص٢٩٢، حاشية ابن عابدين (٣٦١/٢).

وهذا يعني أن طفولة الإنسان تبدأ بولادته وتنتهي عند بلوغه. والطفولة ليست مجرد مرحلة للعب واللهو، بل هي الأساس الذي نبني عليه مستقبل الأمة. فالطفل اليوم هو عالم الغد، وقائد المستقبل.

بعض المصطلحات المتصلة بالطفولة:

- **الجنين**: هو الكائن الحي الذي يتكون في رحم الأم بعد الإخصاب حتى نهاية فترة الحمل. ويُمنح حقوقًا مثل: حق الحياة، وتُشدد الشريعة على حمايته ورعايته، خاصة بعد مرور ٤٠ يومًا، حيث يُعد بداية مرحلة التخلق. والجنين ذو شخصية قانونية محدودة، فتُعطى له حقوق معينة مثل: حماية حقوقه، وتوفير الرعاية اللازمة له، والحق في الميراث.
- **الصبي**: هو الفتى في مرحلة الطفولة، ويُعد غير مكلف شرعًا حتى بلوغه سن البلوغ. ويُؤكد الإسلام على أهمية تعليم الصبي القيم الإسلامية، وتوجيهه في الأمور الشرعية، والسلوكيات الحميدة، وله حق التعليم والرعاية، ويُحظر عمل الأطفال دون سن معينة.
- **الغلام**: قيل هو الفتى الذي بلغ سِنَّ المراهقة أو البلوغ الشرعي –وقيل غير ذلك–، ويُعد مكلفًا شرعًا يُطلب منه أداء العبادات مثل: الصلاة، والصيام، وتحمل المسؤوليات الشرعية. وهو مسؤول عن أفعاله ويُسمح له بالتصرف في بعض الأمور القانونية.
- **الجارية**: في الفقه الإسلامي: هي الفتاة الصغيرة في مرحلة الطفولة، ويُحث الشرع على حسن تربيتها، وتعليمها القيم والأخلاق، وتتعلق بها أحكام خاصة مثل: حقوقها في الميراث والرعاية.. والتربية والتعليم...إلخ. وحقوقها محمية شرعًا وقانونًا.
- **الطفل**: يُعرَّف الطفل بأنه مَن لم يبلغ سن البلوغ، ويُعد غير مكلف شرعًا. ويشدد الفقه الإسلامي على حقّ الطفل في الرعاية والتربية والتعليم، وتُعَدُّ تربية الطفل من أهم واجبات الوالدين. ويُعطى حق التعليم والرعاية، ويُحظر التعرض له لأي شكل من أشكال الإهمال أو الإساءة.
- **المراهق**: المراهق في الفقه هو مَن بلغ سن البلوغ، ويصبح مكلفًا بأداء العبادات والالتزام بالتعاليم الشرعية، يُشدد الفقه على أهمية توجيه المراهقين وإعدادهم لتحمل المسؤوليات الشرعية والاجتماعية. والمراهق في علم النفس له تعريفات وتفريعات وتفصيلات، يُرجع إليها في مظانها.

حقوق الطفل (الروحية – المعنوية - المادية) [٦]

أولا: الحقوق العامة

قرر الإسلام للطفل الحقوق العامة الأساسية، وهي:

- **حق الحياة**: فقد حرَّم الإسلام قتل الأطفال خوفًا من الفقر، قال تعالى: (...وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ...) (الأنعام: ١٥١) وقال: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ ۚ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا) (الإسراء: ٣١).

الإملاق هو الفقر، وكان من عادة بعض أهل الجاهلية وَأْدُ بناتهم إما:

(١) بسبب الفقر الحالي

(٢) أو بخشية وقوعه مستقبلاً

ففي آية الأنعام جاءت لمعالجة السبب الأول؛ أي: لا تقتلوا أولادكم بسبب فقركم الحالي، فإن الله متكفل برزقكم ورزقهم، فناسب أن يُقدِّم رزقكم أولا.

أما في آية الإسراء فقد جاءت لمعالجة السبب الثاني؛ أي: لا تقتلوا أولادكم خشية وقوع الفقر مستقبلاً، فإن الله يرزقهم ويرزقكم، فناسب أن يقدم رزقهم أولا.

- **حق الرعاية الصحية والعناية والتربية**: أمر النبي (ﷺ) بالعدل في معاملة الأبناء، فقال: (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ) [٧].

---

(٦) لمزيد من التفاصيل انظر: حقوق الطفولة في السنة النبوية للباحث محمد سعد، عرض وتقديم الدكتور/ أحمد على سليمان، القاهرة: مجمع البحوث الإسلامية، مجلة الأزهر، عدد ربيع الآخر ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م، ص ٨٧٩-٨٨٥.

- **حق التعليم التوجيه**: قال النبي (ﷺ): (كُلُّكُمْ رَاعٍ ومَسْؤُولٌ عن رَعِيَّتِهِ...) (٨).

ثانيا: الحقوق التفصيلية

وتشمل:

○ حقوق الطفل قبل أن يكون فكرةً:

وإذا كانت المؤسسات في الشرق والغرب تتغنى بإقرار حقوق الطفل، فإننا نفخر ونباهى الدنيا كلها بأنَّ الإسلام سبق العالم كله في إقرار حقوق الطفل قبل مجيئه إلى الدنيا، وقبل أن يكون فكرةً، وأثناء، وبعد مجيئه.

مع التأكيد على قضية مهمة: وهى أن "الناس في نظر الإسلام سواسية، كأسنان المشط، لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) (الحجرات: ١٣)، وعلى هذه القاعدة، جرت كلُّ أحكام الشريعة، فميزان العدل فيها يقتضي أن يُعطى الإنسان من الحقوق، بقدر ما عليه من الواجبات، بغض النظر عن نسبه أو حسَبه أو ماله أو جاهه أو سلطانه، أو أي أمر آخر مما يتفاخر به الناس. وإن كان هناك فضل لأحد على أحد، فإنما هو بالتقوى، والعمل الصالح، والخُلُق الفاضل، والسلوك النبيل –ومن ثم يجب أن يكون الزواج منطلقا مما سبق– لأن الرابطة التي يُحدثها الزواج لا تؤتي ثمارها إلا إذا كان كلٌّ من الزوجين وأسرتهما على خُلق ودين. فالدين هو عصمة أمرنا، فيه سعادتنا ومجدنا [وعزنا وشرفنا ونجاحنا ونجاتنا] ولا تصلح الحياة إلا به؛ لذلك، يجب على الرجل أن يختار امرأة ذات خُلُق ودين، ولا بأس أن يختار ذات جمال أو مال أو نسب، ولكن ينبغي أن يكون الدين هو المنتهى والبغية الأولى، وما سواه تابع له، وأيضًا على المرأة أن تختار رجلاً ذا خُلق ودين. فإن أحبَّها أكرمها، وإن كرهها لم يظلمها" (٩).

ولهذا يقول النبي (ﷺ): (إذا خطبَ إليكم مَن ترضَونَ دينَه وخلقَه، فزوّجوهُ إلَّا تفعلوا تَكن فتنةٌ في الأرض وفسادٌ عريضٌ) (١٠)، ويقول: (تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ) (١١).

وهكذا فحقوق الطفل قبل أن يأتي إلى الدنيا، وقبل أن يكون فكرة، تتمثل في: (حسن اختيار الشريكين الأب والأم)، مع حصر العلاقة الشرعية بين الرجل والمرأة في الزواج الشرعي الصحيح.

وقد انفرد الإسلام بتقرير هذا الحق للطفل، فلم نجد اتفاقية من الاتفاقيات، ولا مؤتمرًا من المؤتمرات تحدث عن هذا الحق، إلا الإسلام.

○ حقوق الطفل جنينًا:

ورعاية الإسلام للطفل والعناية به في مدة الحمل مقررة، تتمثل في: ندب الدعاء قبل التقاء الزوج بزوجته، وأوجب للطفل الحق في الحياة، وللحفاظ عليه رخّص للحامل والمرضع الإفطار في نهار رمضان إن كان يلحقهما ضرر بالصيام، أو أضر بالجنين أو الرضيع، وأمر بتأجيل إقامة الحد عن الحامل، حتى تضع ما في بطنها –إن كان عليها عقوبة–، وحدد عقوبة شرعية لمن يتعدى على حامل فيسقط جنينها، وحرم الإجهاض –إلا إن كان في وجود الجنين في بطن أمه ضررٌ مؤكد على صحة الحامل– وشُرع العزل حفاظًا على الأم.. إلخ وبالتالي يكون الإسلام قد سبق العصر الحديث في إقراره لهذه الحقوق.

○ حقوق الطفل عند الولادة إلى يومه السابع:

وتشمل:

- حق الطفل في ثبوت نسبه، وأنه حق مشترك بين أطراف النسب، وهم: الأب والأم والولد نفسه.
- والتلقين الروحى للطفل، وذلك بالأذان في أذنه اليمنى، وإقامة الصلاة في أذنه اليسرى.
- وتسميته بأحسن الأسماء.

---

(٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٩) د/ محمد بكر إسماعيل: وصايا الرسول (ﷺ) وأثرها في تقويم الفرد وإصلاح المجتمع، الطبعة الأولى، ج ٢ ، القاهرة: دار المنار، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ص ٣٩٢-٣٩٣، بتصرف.

(١٠) أخرجه الإمام الترمذي في سننه – حسن صحيح.

(١١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

- وتحنيكه بالتمر كما كان يفعل النبي (ﷺ).
- والعقيقة وهي مظهر من مظاهر إظهار الفرح والسرور.
- والرضاعة الطبيعية للطفل، حيث حرص الإسلام على توفير حق الرضاع للأطفال.

○ حقوق الطفل من بعد ولادته إلى فطامه:

وتشمل:

حق الطفل في التكريم، وتدليله، وتكنيته، والدعاء له، والإهداء له، والحنو والعطف عليه، والمساواة بين الأطفال (الذكور والإناث)، وعدم التمييز بينهم بسبب الجنس، والتسوية بينهم في الهبات والعطايا، بل في النظرات والقبلات.

وأحقية الطفل في أن يعيش في بيئة صحية، وأن يتوفر له في هذه البيئة قدوة حسنة وإزالة الأذى من طريقه، وإخراج الصدقات عنه، إلى غيرها من الحقوق.

وكان النبي (ﷺ) مضرب المثل والقدوة والمثال في الرحمة بالأطفال وتقبيلهم، وتجوّزه في الصلاة عند سماع بكائهم، حمله (ﷺ) للأطفال، ومسحه على رءوسهم وخديهم، ومواقفه مع الحسن والحسين لا تخفى، ورحمته عليه الصلاة والسلام باليتيم، بل فوق ذلك رحمته (ﷺ) بخادمه...إلخ كلها منطلقات ومرجعية لنا على الدوام.

○ حقوق الطفل من بعد الفطام إلى نهاية سن الطفولة:

وتشمل:

- حقُّ الطفل في حسن المعاملة.
- وحقُّه في الرعاية الصحية (وقاية وعلاجًا).
- وحقُّه في التوجيه والإرشاد، وتوجيهه لممارسة العبادات، والآداب العامة.
- وحقُّه في التعليم، وكان النبي (ﷺ) يعلم الأطفال بنفسه، وأنه أول من دعا إلى محو الأمية كما حدث باستثماره أسرى بدر في تعليم أبناء المسلمين القراءة والكتابة.
- وحقُّه في حفظ دينه وعقيدته.
- وحقُّه في الرعاية النفسية، من خلال عدم التفريق بينه وبين أحبته، وتأمين الطفل الخائف.
- وحقُّه في عيادته إذا مرض.
- وحقُّه في اللعب والترويح عنه.
- وحقُّه في النفقة، وهي واجبة على الأب، ثم الأم، ثم الأقارب، ثم المسلمين (الزكاة والصدقات)، ثم بيت مال المسلمين.
- وحقُّه في الولاية عليه وحفظ ماله في حالة اليتم.
- وحقُّه في تنمية قدراته البدنية والروحية.
- وحقُّه في احترام رأيه، ولقد كان النبي (ﷺ) جميلا وعظيما وقدوة وملهما في محاورته للأطفال والحديث معهم.
- وحقُّه في حماية عرضه، وتهذيب دوافعه وغرائزه وتعليمه أحكام المراهقة، وتجنيبه المثيرات الجنسية وأيضًا اختيار الصديق.
- ومن ذلك تعليمه أدب الاستئذان، وغض البصر والتفريق بينه وبين إخوته في المضاجع عند بلوغه عشر سنين.
- وحقُّه في الميراث.
- وحقُّه في حمايته من الانحراف.

نموذج الأبوة النبوية في رعاية الأطفال(١٢)

أبوَّةُ النبي (عليه الصلاة والسلام) هي المثال والقدوة والنبراس والميزان الذي توزن عليه التربية الرشيدة الراشدة... فتربيته تَحمل كلَّ معاني الرحمة والعطف والحنانِ والرعاية والحب... لقد كان النبي (صلَّى اللَّهُ علَيهِ وآلِه وسلَّمَ) يفرح جدًّا بقدومِ المولود... ويهتم به وبشتى مراحله...

(١٢) نقلا عن كتابنا: كيف نتوضأ بأخلاق النبوة؟ القاهرة: دار إشراقة، ١٤٤٦هـ / ٢٠٢٤م، ٨٢-٨٣.

وكان (ﷺ) يذهبُ إلى بيتِ السيدة فاطمة (رضي الله عنها) ويسألُ عن ولدها الحسَن، ويُعانقُه ويقبّله.. ولما سألَه الصحابةُ عن إطالتِه السجود قال ابني –أي: حفيدي– ارْتَحَلني، فكرهتُ أن أعجلَه حتى يَقضي حاجتَه. وكان يُقبّل الأطفال، ويمسح على رؤوسِهم، وفي ذاتِ مرَّة قبَّل رسولُ اللهِ (ﷺ) الحسنَ بنَ عليٍّ وعِندَه الأقرَعُ بنُ حابسٍ التميميُّ جالسًا، فقال الأقرَعُ: إنَّ لي عشرةً من الولَدِ ما قبَّلتُ منهم أحدًا، فنظَر إليه رسولُ اللهِ (ﷺ) ثمَّ قالَ: (مَن لا يَرحَمْ لا يُرحَمْ)[١٣]. وكان (عليه الصلاةُ والسلام) يحبُّ أولادَه، ومِن بينهم السَّيدة فاطمة، تقول أم المؤمنين السيدة عائشة (رضي الله عنها): "كانت فاطمةُ (رضِيَ اللهُ عنها) إذا دخلَ إليها النبيُّ (ﷺ) قامتْ إليه فأخذتْ بيدِه وقبَّلته وأجلسَتْه في مَجلسِها، وإذا دخلتْ عليه قامَ إليها النبيُّ (ﷺ) فأخذَ بيدِها وقبَّلها وأجلسَها في مجلسِه"[١٤].

وكان يَسعدُ برؤيةِ الحسن والحسين –حفيديْه– ويحتضنُهما ويقبّلهما، ليسَ في البيت فقط؛ بل حتَّى وهو يُلقي خطبتَه على المنبر، حيث نزلَ من على المنبر وحملَهما؛ ليُعلّم المسلمينَ الرحمةَ بالأطفال، وأنَّ الطفل هو اللَّبنةُ الأولى في المجتمع، وأنَّ على عاتقِ الوالدين، والمعلّمين، والمُربين، والمجتمع؛ مسؤوليةً كبيرةً جدًّا تجاهَ هذا الطِّفل من التَّربية، والتنشئة، والتعليمِ والتعلم، والتَّقويم المستمر...

قواعد نبوية في التربية الرشيدة

أكدَ النبيُّ (ﷺ) على مجموعةٍ من القواعد، ومنها:

- أنه كان يتعامَلُ مع الأطفال بالرِّفق واللِّين، ويُحسِن إليهم.
- ويَحملُ بعضهم معه على دابّتَه، ويُعلّمهم كما فعلَ مع عبد الله بنِ عباس (رضي الله عنهما)، وقد وردنا عنه في هذا الموقف الحديث الشريف: (احفظ الله يحفظك.....).
- كما كان يَحرصُ على أن يُجلِس الأطفال في مجالس الكبار؛ ليتعلَّموا منهم الحكمة، وكيفيَّة التَّصرف في المواقف.
- وكان يسعَدُ بمشاركة الأطفال ألعابَهم، واهتماماتِهم، ومشكلاتِهم، ومخاوفَهم.
- وكان يساوي بينَهم في المعاملة والعطاء، والرَّأفةِ بحالهم
- وكان يحملهم إنْ عجَزوا عنِ السَّير
- وكان يسأل الطفل عن حالِه، وعن احتياجاتِه، ويستمع له دون تعنيفٍ أو إهمالٍ لما يقول
- وكان يسمح لهم بممارسةِ حقِّهم في اللَّهْو واللعب؛ فتلك فطرةٌ جُبِلَ عليها
- ويحرصُ على السلامِ على الأطفال.
- ومناداةِ الطفل بالكنْيَة، حيث كان يُسمّي الطفلَ بأبي فلان؛ وذلك من شأنِه إشعارُ الطفلِ بأنه كبيرٌ وله شخصيتُه، ومن ثمَّ يربي فيه معالمَ الرجولة بمعناها الشامل حتى يُمكن الاعتمادُ عليه
- كما دعا إلى تَجنُّب ضرب الطِّفل، وخاصَّة على الوجه.
- ونهى الوالديْن عن الكذبِ على أطفالهما[١٥].

لا تفرقة بين ذكرٍ وأنثى:

لقد قامتِ الحياةُ الجاهلية على تَقديم الذَّكر على الأنثى، والفرحِ بالمولود إذا كان ذكرًا، والحزنِ والأسى إذا كان أنثى، وقد سجَّل القرآنُ هذا السلوكَ الذي سادَ فيهم فقال: (وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ. يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ) (النحل: ٥٨-٥٩)، بل وصل الأمر ببعضهم بالقيام بفعل شنيع فظيع، وهو دفن المولودة حية فيما عُرف بـ: وأد البنات!!. جاءَ الإسلامُ ليُصححَ المسار، ويَعتني بالأنثى عنايتَه بالذكر، ويقرر ويكرر الحقيقة: إنَّ المولودَ هبةٌ من

---

(١٣) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.
(١٤) أخرجه الإمامان أبو داود والترمذي في السنن.
(١٥) كيف كان الرسول يعامل الأطفال wiki.kololk.com/wiki6294-fnoon

الله (سبحانه وتعالى)، فيَنبغي للمسلم أن يفرحَ بهذه الهبَةِ ناظرًا إلى مُهْديها. فإنَّه سبحانه: (يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ) (الشورى: ٤٩)، ومَن لم يكنْ كذلك فليُراجع حسابَ إيمانه.

وكان عليه الصلاةُ والسلام يقومُ لهنَّ ويَستقبلُهنّ، ويفرحُ لفَرَحهنَّ ويَحزَن لحُزنهن(١٦)... ويواسهم كما في قصة: " يا أبَا عُمَيْر، ما فَعَلَ النُّغَيْرُ؟" .

النبي (ﷺ) يداعب الأطفال ويجبر خاطرهم

عُنى النبي (ﷺ) في سنته القولية والفعلية بالأطفال والصغار، ويظهر ذلك من تطبيقاته الشريفة التي أنتجت لنا وللإنسانية جمعاء منهجًا تربويًّا فريدًا لمرحلة الطفولة، يؤكد عالمية الرسالة والرسول وسبقه لرعاية حقوق الإنسان في شتى مراحل حياته.

يقول أنس بن مالك (رضى الله عنه) كانَ النَّبِيُّ (ﷺ) أَحْسَنَ النَّاس خُلُقًا، وكانَ لى أخٌ -صغير- يُقَالُ له: أبو عُمَيْر -قالَ: أحْسِبُهُ- فَطِيمًا، وكانَ إذَا جَاءَ -أي النبي- قالَ -لأخى الصغير-: (يا أبَا عُمَيْر، ما فَعَلَ النُّغَيْرُ؟) نُغَرٌ كانَ يَلْعَبُ به، فَرُبَّمَا حَضَرَ الصَّلَاةَ وهو في بَيْتِنَا، فَيَأْمُرُ بالبِسَاطِ الذي تَحْتَهُ فيُكْنَسُ ويُنْضَحُ، ثُمَّ يَقُومُ ونَقُومُ خَلْفَهُ، فيُصَلِّي بنَا (١٧).

أيها المؤمنون: والله ما أنجبت الدنيا أحدًا مثلَ سيّدِنا محمد (ﷺ) في جلاله وجماله وكماله، وفي جبره لخواطر الناس والمخلوقات.... لقد كان النَّبِيُّ (ﷺ) أحسَنَ النَّاسِ خُلُقًا وعِشرةً، يُفيضُ بحُسنِ خُلُقِه وملاطفتِه على كُلِّ من حوله كبارًا وصِغارًا.

يُخبِرُ سيدنا أَنَس بنُ مَالِكٍ (رَضِيَ الله عنه): عن دقائق في حياة سيدنا النَّبيِّ (ﷺ) ومن ذلك أنه كان لأنس أخٌ صغير قدْ فُطِمَ مِن الرَّضاعةِ يُسمَّى أبا عُمَيرٍ -كان أخوه مِن أُمِّه أُمِّ سُلَيْمٍ مِن زَوْجِها أبي طَلْحَةَ (رَضِيَ اللَّهُ عنهم)- وكان النَّبيُّ (ﷺ) كلَّما أتى إلى بيتِ أبي طَلحةَ يُلاعِبُ هذا الصَّغيرَ.

انظروا إلى جمال سيدنا النبي، وجبره لخاطر الطفل الصغير، وقربه منه، وسعيه للتخفيف عنه آلام فقد طَائِره الذي مات... وينادي الصبي الصغير بالكنية؛ ليعلمنا: كيف نتعامل مع أولادنا الصغار؟، كيف نزرع فيهم معالم الرجولة منذ البداية؟، يقول له: (يا أبا عُمَير، ما فَعَل النُّغَيْرُ؟) والنُّغَيرُ: تَصغيرُ النُّغَر، وهو طائِرٌ صَغيرٌ كالعُصفور. والصبيُّ حزين فقدْ فَقَدَ الطائرَ الذي كان يلعب به ويحبه، فسَأَلَه النبي (ﷺ) عنه لَمَّا بلَغَه حزنه على مَوتِ هذا الطائِرِ للتخفيف عنه...

ثُمَّ أخبرَ أَنَسٌ (رَضِيَ اللهُ عنه) عن عدد من معالم محبة النَّبيّ (ﷺ) وتواضعه وحسن خُلقه ولينه ورحمته وحنيته ومُداعبته للصِّغار والمُزاح معهم، وإدخال السُّرور عليهم، وقربه من كل الناس، حيث كان يَأمُرُ بالبِساطِ الَّذِي يَجلِسون عليه، فيُكنَسُ ويُنضَحُ، أي: يُرَشُّ عليه الماءُ، فيُصلِّي بهم جَماعةً؛ ليعلمنا: النظافة، والنظام، وجبر الخاطر، والتواضع مع خلق الله، وأن الناس سواسية كأسنان المشط لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى والعمل الصالح، وكأنه يريد أن يفيض بأنواره وبركته على بيوت المسلمين، ويعلمهم وأولادهم الصلاة على وقتها دون إمهال أو تأخير...

وهذه رسالة للكبار والدعاة والمربين والمعلمين والآباء، أفيضوا على كل الناس بخبراتكم، ورحماتكم، وبركاتكم، وخيراتكم... تأسوا بالرسول العظيم الذي ملأ الدنيا نورًا وبركةً ورحمةً وعلمًا وحلمًا وجبرًا.

عناية الإسلام البالغة بالطفل اليتيم

لا يمكن ونحن نتحدث عن الطفولة أن ننسى الحديث عن مكانة الطفل اليتيم والطفل المعاق...

يتم النبي (ﷺ) رسالة ربانية تحمل دلالات عظيمة

(١٦) صالح بن أحمد الشامي: أبوة الرسول (ﷺ)، شبكة الألوكة ١٣/٢/١٤٣٨.
(١٧) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

إن ولادة نبينا العظيم سيدنا محمد (ﷺ) يتيمًا تُعدّ رسالة بليغة من الله (سبحانه وتعالى) تحمل دلالات عميقة؛ حيث شاء الله الحكيم أن يتولى بنفسه تربية عبده ونبيه محمد بن عبد الله؛ وليكون ذلك دافعًا لنا لإكرام اليتيم والاهتمام به.

من هو اليتيم؟

اليتيم في اللغة هو الصغير الذي فقد أباه قبل البلوغ [١٨]، والذكر لا يُعدُّ يتيمًا بعد بلوغه وقدرته على الاعتماد على نفسه. أما الأنثى فتظل يتيمة حتى تُزوَّج.

ويعيش اليتيم حياةً يملؤها الحرمان، يفتقد فيها دفء الأبوة والأمومة ونظرة الرحمة الحانية من أبيه أو أمه. فقد أباه في البيت والنادي والشارع وفي المسجد وفي المدرسة، وهو شخص ضعيف فَقَدَ مصدر الأمن والحنان والحماية ويواجه قسوة الخوف والوحدة... إنه حقًّا مسكين هذا اليتيم.

اليتيم في القرآن الكريم:

اهتم القرآن الكريم باليتيم أيّما اهتمام، وورد ذكره في أكثر من عشرين آية كريمة، منها:

قوله تعالى: (...وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ..) (البقرة: ٢٢٠).

وقوله: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) (الضحى: ٩).

وقوله تعالى: (كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ) (الفجر: ١٧).

وقوله: (يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَا أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ) (البقرة: ٢١٥).

وقوله تعالى: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا.. إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا) (الإنسان: ٨-٩).

وقوله: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۖ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا) (النساء: ٣٦).

ولقد جاءت الرؤية القرآنية لتؤكد أن كفالة اليتيم ورعايته وصيانته والقيام على أموره من أعظم أبواب الخير والبر والرحمة، والمدقق في الآية السابقة يلحظ أن الله، عطف بحرف "الواو" ليفيد مطلق الجمع بين المتعاطفين، وكأن الإحسان إلى الوالدين وذي القربى واليتامى... إلخ من عبادة الله (عز وجل)، ولا يَقِلّ عنها بل يأتي مرتَّبًا بعدها مباشرة.

عناية السنة الشريفة باليتيم:

ولقد قاسمت السنةُ النبويةُ القرآنَ الكريمَ في الدعوة إلى رعاية اليتيم، وحثّت بأساليب متنوعة للإحسان إليه.

قال النبي (ﷺ): (كافِلُ اليَتيم له، أوْ لِغَيْرِه أنا وهو كَهاتَيْنِ في الجَنَّةِ – وأَشارَ مالِكٌ بالسَّبَّابَةِ والْوُسْطَى) [١٩].

يُخبرُ النَّبيُّ (ﷺ) أنَّه وكافِلُ اليَتيم، وهُو المُربّي لَه والقائِمُ بأَمره، سواءٌ كان هذا اليتيمُ له قَرابةٌ بمُربّيه، أو مِن غير قَرابتِه، فوَعَدَه النَّبيُّ العظيم بأنَّه يكونُ في الجَنَّةِ مُصاحبًا لَه كمُصاحَبَةِ الإصْبَعيْنِ في اليَدِ الواحِدَةِ مِثلَ إصْبَع السَّبَّابةِ بجِوارِ الإصْبَع الوُسْطى، لعِظَم أَجره عِندَ اللهِ تَعالى.

وقد شكَى رجل إلى النبيّ (ﷺ) قسوةَ قلبِهِ فقال: (أطعم المسكينَ وامسحْ رأسَ اليتيم) [٢٠].

من مظاهر تكريم الإسلام لليتيم:

أسس الإسلام منظومة فريدة لحقوق الطفل اليتيم، قبل العالم بأربعة عشر قرنًا، وأمر بكفالته، ورعايته جسمانيًّا وعاطفيًّا ووجدانيًّا، حتى ينشأ سويًّا ومحبًّا للخير. ومن أهمها:

- حق الحياة: لا يجوز أن نعتدي عليه أو نلقي به إلى التهلكة.

---

(١٨) اليتم: يشير إلى فقدان أحد الوالدين، وعادةً ما يُستخدم للإشارة إلى فقدان الأب. في المجتمعات الإسلامية يُعد اليتيم هو الطفل الذي فقد أباه، لكن أحيانًا يُستخدم لوصف من فقد والديه. يُطلق على الطفل الذي فقد أبويه "يتيم الأب والأم".

(١٩) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه.

(٢٠) أخرجه بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني في عمدة القاري – إسناده حسن.

- حق النسب: فيُنسب إلى أبيه لا إلى غيره: (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ ۚ...) (الأحزاب: ٥).
- حق الرضاعة والنفقة والولاية: بتوفير كل ما يحتاجه من حضانة وحماية لماله ونفسه.
- وحذر الإسلام من إيذاء اليتيم بأي صورة من صور الإيذاء، سواء أكان حسيًّا أم معنويًّا، مباشرًا أم غير مباشر، بالقول أو بالفعل، يقول تعالى: (فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ) (الضحى: ٩).
- وحذَّر من إيذائه في ماله؛ بل جعل الاعتداء على أموالهم خطًّا أحمر، يستوجب العقاب الشديد. يقول تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا) (النساء: ١٠). ويا له من إنذار شديد تنخلع له القلوب الحية.

وكفالة اليتيم تعنى القيام بشؤونه من التربية، والتعليم، والتوجيه، والنصح، والإرشاد، والتهذيب، والقيام بما يحتاجه من حاجات تتعلق بحياته الشخصية من المأكل والمشرب والملبس والعلاج، وتأمينه على جسده، ونفسه، وماله، ودينه، وأخلاقه.

والمسلم مأمور أن يُعلّم اليتيم مما علَّمه الله، ويجود عليه بخبراته الحياتية الأمينة.

وكفالة اليتيم نوعان:

(١) أن يضمّه الكافل لأسرته.

(٢) أن يُنفق عليه وهو مع أمه، أو في دُور الأيتام.

والنوع الأول أعلى منزلة.

إنشاء صندوق استثماري قومي لرعاية الأيتام:

وفي هذا المقام المبارك: أناشد المسؤولين والعلماء ورجال الأعمال والأثرياء، التعاون لإنشاء صندوق استثماري قومي لرعاية الأيتام، بحيث تُخصص عوائد استثماره لدعم اليتامى، وإنشاء مشروعات تنفق عليهم، وتوفر فرص عمل لهم في المستقبل، وتخصص وحدات سكنية لهم، ومساعدتهم على الزواج.

وتبقى رعاية اليتيم واجبًا دينيًّا وإنسانيًّا، ومصرنا العظيمة العطاءة –بأهلها الطيبين– قادرة على تحقيق هذه المبادرة؛ لتكون نموذجًا يُحتذى به.

حقوق الطفل المعاق

الطفل ذو الاحتياجات الخاصة (المعاق) له مكانة خاصة وكبيرة في الإسلام، على عكس نظرة بعض الحضارات له التي أمعنت في إيذاء المعاقين، وتهميشهم، بل وصل الحد لقتلهم والتخلص منهم[٢١].

وحقوق المعاق في الإسلام محفوظة ومرعية ومحمية وتتميز بالشمولية والرحمة والعناية الفائقة، فحياته غالية جدًّا –وليس كما كان يحدث لهم في بعض الحضارات القديمة–.

ويعتبر الإسلام حق الحياة حقًّا مقدسًا، كما يُحرم الإسلام وبشكل قاطع أي تمييز أو تهميش بسبب الإعاقة، فالطفل المعاق له الحق في الكرامة والمساواة، وتجريم من يهينه أو يقلل من شأنه.

والإسلام لا يميز بين الأفراد في الحقوق والواجبات بناءً على الإعاقة، بل يضمن للمعاق حقوقًا متساوية في دون تمييز.

بل إن الإسلام العظيم يُشدد على ضرورة توفير كامل الدعم المساندة والرعاية الصحية، والنفسية، والاجتماعية للطفل المعاق، وبما يلائم احتياجاته، ويضمن إدماجه في الحياة، ويعظم الإفادة من مواهبه وإمكاناته الظاهرة أو الدفينة؛ لدمجه وإشراكه في الحياة الاجتماعية وإفادة المجتمع من مواهبه وقدراته التي قد تفوق الأصحاء.

---

(٢١) ارتبطت الإعاقة في **العصور الأولى** بغضب الآلهة. وهناك أحداث تاريخية توضح أن بعض الآباء كانوا يلجؤون إلى كف بصر بعض أبنائهم ليستدروا عطف الناس عند التسول.

أما في **العصر الروماني** فقد بلغت القسوة بالمعاق حدًّا رهيبًا، عندما سادت نزعة القوة، وأصبح افتراس الأسود للمعاقين وسيلة للتسلية عند الملوك والأباطرة، كما تفسر بعض الكتابات: أنه كان يتم التخلص من المكفوفين عن طريق إلقائهم في السهول، أو تركهم على قمم الجبال؛ ليموتوا بفعل الظروف المناخية المحيطة بهم..

أما عن **اضطهاد المعاقين وإيذائهم في العصور الوسطى بأوروبا** فقد كان هناك تيار يدعى تقمص الشياطين بأجسادهم، وكانوا يتعرضون لأبشع أنواع التعذيب الذي يؤدى إلى الموت بإحدى الوسائل المتعددة والمعروفة في ذلك العصر. المصدر: د/ جمال محمد موسى (المنظور الشمولي للخدمة الاجتماعية وذوى الاحتياجات الخاصة من المعاقين) د / محمود محمد مصطفى د/ أميرة عبد العزيز العربى (/kenanaonline.com/users/eltebi/posts/١٩٨٢٠١).

وقد **أرسل الله تعالى سيدنا** محمد (ﷺ) خاتم الأنبياء والمرسلين **رحمة لكل خلق الله ولكل مخلوقات الله**، قال تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ) (الأنبياء: ١٠٧).

ومن ثم له حق التعليم والتأهيل، وله حق النفقة والرعاية الأسرية، فالأسرة مُلزمة برعاية الطفل المعاق والإنفاق عليه، وهذا واجب شرعي.

والإسلام يُشدد على ضرورة توفير بيئة مليئة بالحب والاحترام والاحتواء للطفل المعاق، ودعمه نفسيًّا وعاطفيًّا، كما يضع إطارًا شاملاً يضمن حقوقه في مختلف جوانب الحياة، مع توجيه المجتمع والأسرة إلى دعمه ومساعدته في تحقيق حياة كريمة تحفظ له إنسانيته وتساعده على تحقيق طموحاته...

ويؤسس النبي العظيم معالم الرحمة ويؤكد على مكانتهم في عنصرين من أهم عناصر الحياة، وهما (**الرزق – والنصر**)، فيقول: (ابغُونِي ضُعَفاءَكم؛ فإنَّكم إنَّما تُرزَقونَ وتُنصَرونَ بضُعَفائِكم) (٢٢).

ويا لها من رسالة عظيمة يفقهها مَن يتعمق في مبانيها ومعانيها ومراميها، إنّه حقًّا رحمةُ الله للعالمين، فيبرز فضل الضعفاء، ويحذر مِن التَّكبّر على الفُقراءِ والضُّعفاءِ، ويحث على جَبْر خواطِرهم، وحُبِّهم واحترامهم، وطلب الدعاء منهم.

تأملوا قول النبي (ﷺ) "ابْغُونِي"، أي: اطْلُبوا لي "الضُّعفاءَ"، أي: الفُقراءَ، ومَنْ لا يُبالِي النَّاسُ بِهم؛ لِرَثاثةِ حالِهم وهيئتِهم.

وطَلَبُه لهم (ﷺ) إنَّما يَكونُ بالتَّقرُّبِ إليهم وتَفقُّدِ حالِهم، وحِفْظِ حقوقِهم والإحسانِ إليهم قولًا وفعلًا؛ "فإنما تُرْزَقون"، أي: يَرْزُقُكم اللهُ (عزَّ وجلَّ)، "وتُنْصَرونَ"، أي: على عدوِّكُمْ في المعاركِ ونحوها "بضُعفائِكُم"، أي: بسَبب كَونِهم بينَ أظْهُركم ورعايتِكم لهم، وببَرَكةِ دُعائِهم.

والنُّصرةُ بالضُّعفاءِ تكونُ مع أخْذِ الأُمَّةِ بأسبابِ النَّصر الأخرى أيضًا؛ من إقامةِ دِين اللهِ (جلَّ وعلا)، والعدلِ، والأمر بالمعروفِ والنهي عن المنكر، وعدمِ التفرُّقِ أحزابًا وشِيعًا، وغير ذلك من أسبابِ النَّصر.

ونتيجة لمنهج الإسلام في رعاية المعاق، حفل التاريخ الإسلامي والحديث والواقع المعاصر بعدد كبير من العباقرة "المعاقين" الذين فرضوا مواهبهم، وتركوا بصماتهم الغائرة على سهول الحياة ليستفيد منها الأجيال، وكم من كفيف علَّم الأصحاء، وكم منهم أضاءوا الدنيا بنور علومهم وبصائرهم (٢٣).

المعاق الحقيقي:

مع الأخذ بعين الاعتبار أن المعاق الحقيقي ليس هو الذي فَقَد بصره أو سمعه أو زراعه أو قدمه، بل هو مَن أضاع عمره وشبابه في الأوهام... هو مَن ترك نفسه فريسة للدعة والتواكل.. هو من استخدمه شياطين الإنس والجن في أشياء لا تنفع.

كما أن الإعاقة ليست جسدية دائمًا، بل يمكن أن تكون ذهنية أو فكرية أو نفسية تعيق الإنسان عن تحقيق أهدافه. الشخص السليم جسديًّا لكنه يعيش في الاستسلام هو معاق في فكره وإرادته.

الكثير من الأفراد يعانون من إعاقة نفسية تمنعهم من استثمار طاقاتهم، مما يحرمهم من إمكاناتهم الحقيقية. لذا، أهمية العزيمة والإرادة تتجلى هنا. الشخص الذي يواجه تحديات جسدية ويعمل بجد لتجاوزها قد يحقق إنجازات أكبر من شخص سليم جسديًّا لكنه يفتقر للدافع والمحفز.

ومن ثم يجب أن نحفز أنفسنا والآخرين لاستغلال كل لحظة في التعلم والنمو، وأن نكون مصدر إلهام. الحياة مليئة بالفرص، والمعاقون حقيقيًّا هم مَن يختارون البقاء على عتبة الفشل بدلًا من السعي نحو التغيير والإبداع.

---

(٢٢) أخرجه شعيب الأرناؤوط (تخريج المسند لشعيب) إسناده صحيح.

(٢٣) ومن هؤلاء:

- **عبد الله بن أم مكتوم (رضي الله عنه)**: كان كفيف البصر، وكان مؤذنًا للنبي (ﷺ)، ومشاركًا في إدارة شؤون الدولة.
- **الأعمش** (سليمان بن مهران): يعاني من العور وضعف في البصر، تميز كعالم كبير في الحديث والتفسير.
- **الإمام الترمذي**: كان كفيفا في أواخر حياته، جمع ودوّن أحد أهم كتب الحديث.
- **الإمام محمد بن سيرين**: يعاني صمما جزئيا، برز في التفسير والحديث وتفسير الأحلام.
- **الأصمعي** (عبد الملك بن قريب): لديه عيوب جسدية، كان من أعظم علماء اللغة والشعر.
- **القاضي عبد العزيز بن عبد السلام**: يعاني إعاقة جزئية في الحركة، اشتهر بالفقه وإصلاح الشؤون العامة.
- **الشيخ عبد الحميد بن باديس**: لديه ضعف في السمع والبصر، قاد النهضة التعليمية والإصلاح الدعوي في الجزائر.
- **الشاعر بشار بن برد**: كفيف منذ الولادة، من أعظم شعراء العصر العباسي.
- **طه حسين**: فقد بصره طفلاً، أصبح عميد الأدب العربي وكاتبًا مؤثرًا.

الطفل الموهوب

فكما أن الأطفال الضعفاء والمعاقين هم مصدر لاستجلاب الرزق والنصر من الله (جل وعلا)، فإن الأطفال الموهوبين هم أيضا مصدر للإبداع والتقدم والازدهار.

والموهبة مِنّةٌ من الله تعالى ونعمة منه وعطية وهدية، فالطفل الموهوب في أي مجال من المجالات النافعة، يمثل كنزا من كنوز الوطن، يجب رعايته والعناية الفائقة به..

والإسلام يدعو إلى رعاية الطفل الموهوب تربويًّا وتعليميًّا وأخلاقيًّا، وتنمية مهاراته، وإعداد بيئة داعمة تعزز قدراته؛ ليكون عنصرًا فعالا ومبدعًا ونافعًا في المجتمع، مع التأكيد على التزامه بالقيم الأخلاقية والدينية حتى لا ينحرف بموهبته فتكون وبالا عليه وعلى الآخرين.

الإسلام يدعو إلى استثمار المواهب وتنميتها، ويدعو الأسرة والمجتمع لرعاية الطفل الموهوب، وتقدير موهبته، وإعطائه حقه من التقدير، والتعليم المناسب الذي ينمي موهبته ويطورها من خلال بيئة محفزة وداعمة نفسيًّا وعاطفيًّا، تحفزه وتجنب الضغط الزائد عليه، وتساعده على حرية التفكير والتعبير عن المواهب وتساعده على الابتكار ونفع المجتمع.

وكان النبي (ﷺ) يوظف يرعى مواهب الصحابة صغارا وكبارا، فكان يوظف الشخص المناسب في المكان المناسب وفق مواهبه وقدراته وجداراته، فهذا زيد بن ثابت (رضى الله عنه): برزت موهبته في صغره في حفظ القرآن الكريم وتعلم اللغات، واستثمر النبي (ﷺ) ذلك فأسهم في تنمية موهبته، وتوظيفها في خدمة الإسلام.

وهذا أسامة بن زيد (رضى الله عنه) الذي قاد جيشًا كان فيه كبار الصحابة وهو شاب في مقتبل العمر.

عباد الله: نسأل الله أن يبارك في أولادنا وأحفادنا وذرياتنا.. اللهم باعد بينهم وبين الشرور كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم اجعلنا من عباده الصالحين، الذين يحافظون على دينهم، وقرآنهم، وسُنة نبيهم، وعلى عقولهم، ويوجهون ذكاءهم في بناء الإنسان الصالح، وترقية الحياة وإسعاد المخلوقات.

أيها المسلمون: اذكروا الله ذكرًا كثيرًا وسبحوه بكرة وأصيلا، كما أمركم ربكم فقال: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا. وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) (الأحزاب: ٤١-٤٢)، ووصلّوا وسلّموا على خير البرية، سيدنا محمد،قال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) (الأحزاب: ٥٦).

- اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَاةً تَجْمَعُ بِهَا رُوحَ الْمُصَلَّى عَلَيْهِ، بِالْمُصَلِّي عَلَيْهِ.
- اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ بن عبد الله، مَا ضَاقت إلا وفَرَّجها اللهُ.
- اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، صَلَاةً تُنَوِّرُ بِهَا قُلُوبَنَا وَعُقُولَنَا وَذُرُوبَنَا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ.

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُنْشِي الْخَلْقِ مِنْ عَدَمِ *** ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ فِي الْقِدَمِ
يا رَبَّ بالمُصطفى بَلِّغْ مَقاصِدَنَا *** واغفِرْ لنا ما مَضى يا واسِعَ الكَرَمِ
واغفِرْ إلهي لِكُلِّ المُسلمينَ بما *** يَتْلون في المَسجدِ الأقصى وفي الحَرَمِ
بجاه مَن بَيْتُه في طَيْبَةٍ حَرَمٌ *** وإسْمُه قَسَمٌ مِن أعظمِ القَسَمِ
مَوْلايَ صَلِّ وَسَلِّمْ دَائِمًا أَبَدًا *** عَلَى حَبِيبِكَ خَيْرِ الْخَلْقِ كُلِّهِمِ

وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن سيدنا محمدًا رسولُ الله.

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله... يقول الحق (تبارك وتعَالَى): (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران: ١٠٢).. **أما بعد**، نواصل الحديث في موضوع الطفولة

رسالة عاجلة للمسلمين في كل مكان بخصوص الأطفال

أولا: تحصين الأطفال والدعاء لهم

علَّمَنا النبي (ﷺ) أن نُحَصِّن أنفسنا وأطفالنا، فقد كانَ (ﷺ) يُعَوِّذُ الحَسَنَ والحُسَيْنَ، ويقولُ: (إنَّ أَبَاكُما كانَ يُعَوِّذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وإِسْحَاقَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِن كُلِّ شيطَانٍ وهَامَّةٍ، ومِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ) (٢٤).

كان (ﷺ) يَستعيذُ باللهِ مِمَّا يَخافُ ويَحذَرُ، ويُعوِّذُ غيرَه؛ وحِرص على اتِّباع سُنَّةِ خَليل الرَّحمن سيدنا إبراهيمَ (عليه السَّلامُ). والتَّعوُّذُ باللهِ تعالَى وكَلماتِه هو الالْتجاءُ إليهِ (عزَّ وجلَّ)؛ لأنَّه سُبحانَه القادِرُ على صَرْفِ الشُّرور عن عبْدِه (٢٥). فعلَى المسلم أنْ يَلْزمَ ذلك ويَستعيذَ باللهِ مِن شُرور خَلْقِه.

ثانيا: التربية السليمة

كيف نربي أطفالنا تربية سليمة في عصر شديد التعقيد؟

من الحِكم التي توارثها الناس جيلا بعد جيل، فيما يتعلق بعلاقة الأب بولده: [لاعبه سبعًا، وأدّبه سبعًا، وآخه سبعًا، ثم اترك حبله على غاربه].

واعلموا أيها الآباء: أن قضية بناء الإنسان وتربيته على الفضائل من الصعوبة بمكان، وتستدعى جهودا كبيرة جدًّا لا تتوقف، فالعبء كبير، والأمانة عظيمة...

(تنبيه وتحذير) خلي بالك:

- إذا أردت أن يكون ولدك أتعس الناس فاعطه كل ما يريد كما قال المفكر العالمى: "جان جاك رسو".
- إذا أردت أن يكون ولدك تائها، فاتركه وحده مع هاتفه وحيدا في غرفته بالساعات.
- إذا أردت أن يكون ولدك غريبا عن دينه، جهولا بربه فلا تعلمه القرآن.
- إذا أردت أن يكون ولدك عن لا يعرف لغته فاترك يكتب الفرانكو أراب.
- إذا أردت أن يكون ولدك بلا مستقبل فاتركه لرفاق السوء.

أيها المسلمون:

- **علموا أولادكم بالتدرج والتسلسل** "وحدة وحدة"؛ فالطفلُ يُولَدُ لا يَعْقِلُ شيئًا، قال تعالى: (وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) (النحل: ٧٨)، ثُمَّ يَكْتَسِبُ الطفل مَعارفَه ومهاراته مِن المُلاحَظةِ والتَّعلُّم مِنَ الآخَرينَ وخاصَّةً من الوالِدَين.. يقول النبي (ﷺ): (مُروا أَولادَكُم بِالصَّلاةِ وهُم أَبناءُ سبع سِنينَ، واضْربوهم عَليها وهُم أَبناءُ عَشر، وفَرِّقوا بَينَهُم في المَضاجِع) (٢٦). وهكذا نتعلم منهج التدرج في التكليف من سيدنا رسول الله، حيث علَّمَنا أن **نُدرب الطفل على الصلاة ثلاثة أعوام** (من سن السابعة إلى العاشرة)، حتى إذا بلغ الطفل عشر سنين أُلزم بالصلاة، فإذا قصّر في الصلاة بعدها عوقب؛ حتى يعتاد على أدائها، فإذا دخل وقت التكليف يكونون قد اعتادوا عليها دون تفريط منهم في شعيرة الصلاة.

كما أمرنا أيضا أن الأطفال إذا بلغوا سنَّ العاشرة أن **يفرق بين الذكور بصفة عامة، وبين الذكور والإناث بصفة خاصة، في النوم** بجانب بعضهم البعض، ويفصل بينهم؛ لأن هذا العمر بداية الدخول في مرحلة البلوغ ومعرفة الشهوة، حتى إذا وصلوا إلى سن البلوغ والشهوة يكونون قد اعتادوا على هذا الفصل، والمراد بالمضاجع: أماكن النوم.

- علموا أطفالكم **شكر نعم الله تعالى على الإنسان**؛ فالشكر تدوم النعم، ومن أهمها: نعمة الإسلام، ونعمة الأمن والأمان، ونعمة الوطن الذي باركه الله وأمَّنه الله... وإنَّ الله يحبُ إذا أنعمَ على عبدٍ نعمةً أنْ يرى أثرَها عليه.

---

(٢٤) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٢٥) وكَلماتُ اللهِ مَحمولةٌ على أسمائِه الحُسنى، وصِفاتِه العُلى، والكُتبِ المُنزَّلةِ مِن عِندِه (سُبحانَه وتعالَى)، أو المقصودُ بها المعوِّذتَانِ: سُورةُ الفلَقِ وسُورَةُ النَّاسِ، أو المقصودُ بها القرآنُ الكريمُ.

والتَّامَّةُ: صِفةٌ لازمةٌ لكَلِماتِ اللهِ (عزَّ وجلَّ)، أي: الكامِلةُ الخاليةُ مِن النَّقصِ، أو النَّافعةُ، أو الشَّافيةُ، أو المبارَكةُ.

وقولُه (ﷺ): «مِن كُلِّ شَيطانٍ وهَامَّةٍ»، أي: مِن كلِّ شَيطانٍ إنسيًّا كان أو جِنيًّا.

والهامَّةُ: هي كلُّ ما له سَمٌّ، وقيل: إنَّ الهوامَّ حَشَراتُ الأرضِ.

والعينُ اللَّامَّةُ: هي العينُ الَّتي تُصيبُ بالسُّوءِ وتُلحِقُ الضَّررَ بمَن تَنظُرُه. راجع: شرح الحديث في الدرر السنية الموسوعة الحديثية.

(٢٦) أخرجه النووي في المجموع – إسناده حسن.

- علموهم **الرضا والقناعة**، وأن من نظر إلى مَن فُضِّل عليه في المال والولد، فلينظر إلى من هو دونه..
- علموهم **احترام أقدار الله فى الكون والخَلق والحياة**.
- علموهم **احترام الضعفاء، الثقة بالنفس، احترام الآخرين**.
- ازرعوا فيهم **الصدق والجرأة والإفصاح وقوة الشخصية**، حتى لا يكون تحت وطأة الخوف من أب أو معلم أو مدير أو غيره، ذلك لأنَّ الخوفَ يولد كثيرًا من القيم السلبية منها: الكذب، وعدم الاكتراث، وعدم الاهتمام بالممتلكات الخاصة والعامة، والأخطر تنمية الدافع للانتقام.
- علموهم **الوضوح** يقول عالم التنمية البشرية (براين تريسى): "إن أغلب المشكلات في الحياة تحدث بسبب الغموض وعدم الوضوح، فالوضوح هو كلمة السر في النجاح في الحياة".
- **ازرعوا فيهم قيم الاتقان والبراعة والإبداع**.
- علموهم **الإحسان.. في كل شيء.. ومع كل الناس والمخلوقات**.. وفي كل حال. قيل لسيدنا يوسف وهو في السجن..!!، (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)، وقيل له وهو على خزائن مصر (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) فكن محسنًا حتى وإن لم تلق إحسانًا من الناس.. كن مُحسنًا ليس لأجلهم. بل لأنَّ الله يحب المحسنين.
- رسخوا في نفوسهم منذ الصغر **قيمة الإيجابية**، بحيث يكون الطفل إيجابيًّا في كُلّ أحْوالِه، وأنْ يكونَ نافِعًا لنَفْسِهِ ولغَيْرِه ولوطنه ولدينه.. وأن يأخذ بالأسباب، وألا يتوانى في عمل الخير، وأن يكون مُنتجًا، وحريصًا على الوقت، وفاعلاً في حياته ومجتمعه، وأن يُبادر بالأعمال الصالحة قبل انتهاء الأعمار.
- رسخوا في أطفالكم **قيم المسئولية منذ الصغر**، وهنا نتذكر حديث الفسيلة يقول المصطفى (ﷺ): (إن قامتِ السَّاعةُ وبيدِ أحدِكم فَسيلةٌ –أي صغار النخل– فاستطاعَ أن لا تقومَ حتَّى يغرسَها فليغرسْها) [٢٧].
- **أيها المسلم إذا نصحت النشء والأطفال فلا تفضح... وإن عاتبت فلا تجرح**، كن معهم كريمًا مكرَمًا.. كن معهم عزيزًا أبيًا شامخًا.. متواضعًا في عزة.. وإياك والكبر والخشونة في القول أو الفعل.. كن معهم بسَّامًا بشوش الوجه قدوة حسنة للصغار.. كن معهم مهندمًا نظيفًا جميلا.. كن حسيسًا بآمالهم وآلامهم.. كن معهم متطورًا وموكبًا للزمن.. لا تتحدث فيما لا تجيده حتى تجيده..
- **عامل الأطفال على قدر عقولهم... لا بأعمالهم!** كن مهابًا بحكمتك وعلمك، وصوتك الحاني، وسلوكك القويم.. اعلم أن الله تعالى يراك وأن الصغيرة منك كبيرة وتظل عالقة في نفوس الأولاد وفي عقولهم.. كن (موسوعة مبادئ علمية أخلاقية قيمية روحية اجتماعية تمشى على الأرض) افتح عقول الأولاد؛ للنظر والتأمل والتدبر في مكنونات خلق الله في الكون الفسيح.. دَرّب عيون الأولاد على تسبيح الله تعالى؛ بالنظر المعمق في كونه ومخلوقاته وآلائه.
- **ركزوا على البناء النفسي والروحي للشخصية السوية**، وهى: (الأمن – العدل – الحرية – الحنية – الثقة– القدوة).. ازرعوا فيهم: الأمل – حب العمل – العزة – حب الوطن وحب الناس– القدرة على الإفصاح والصدق، بحيث (ما تضمره في نفسك تستطيع أن تبوح به لوالدك ولمعلمك... بلا خوف).
- رَبُّوا فيهم العقل والقلب معا؛ لأن في العقل إرادة وفي القلب ضمير..
- **ابنوا في الطفل شخصا قويا لا يحتاج في اليوم الصعب إلى ملجأ، إلا الله تعالى**.
- **ازرعوا في قلب الصبي وفي وجدانه ثقافة الأمل والتفاؤل**.. فالدراسات العلمية أثبتت أن المتفائلين هم: أكثر الناس نجاحًا، وأكثر الناس إيجابية، وأكثر الناس تعاونًا، وأكثر الناس إنجازًا، وأكثر الناس حكمة، وأكثر الناس صحة، وأطول الناس أعمارًا بإذن الله تعالى.
- **ازرعوا في أولادكم ثقافة الأناقة**: أناقة الفكر، أناقة القول، أناقة السلوك، أناقة المظهر، والأهم أناقة الجوهر.
- **علموهم العدل، والموضوعية، والنزاهة، والحيادية، والعمل الجماعي، وثقافة الشورى، واحترام المخالف وعدم الحجر على فكره، والرجوع لأهل الذكر في كل مجال**: فأهل الذكر في الطب هم الأطباء، وأهل الذكر في الهندسة هم المهندسون، وأهل الذكر في الزراعة هم الفلاحون، وأهل الذكر في الفقه هم الفقهاء..

---

(٢٧) أخرجه بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني في عمدة القاري – إسناده حسن.

- **علموهم التسامح والتعددية وقبول الآخر**، وعلموهم الابتعاد عن الانفعالات الفكرية، وأننا عندما نختلف مع أحد فإننا نختلف مع فكره وليس مع شخصه، وأن الاختلاف في الرأي لا يفسد للود قضية.
- اغرسوا في عقولهم **القيم الدافعة للتقدم في الفكر الإسلامي** مثل العمل المتقن التعلم المستمر الإبداع الإتقان.
- **ازرعوا الجمال في وجدان الأولاد**، فالإنسان تعلم الفن من الطبيعة من الكون: اجعلوهم ينظرون ويتأملون ويتدبرون في الطاووس، والطيور، والرخام، والزروع والورود والأزهار... وبديع خلق الله، وقوس قُزح وتداخل الألوان في السماء والأسماك في البحار..
- **دربوا آذانهم على سماع النغم الطاهر الذي خلقه الله في الكون**، فمن أنغام الكون (أصوات الرياح– أصوات البحار – أصوات الطيور والمخلوقات.. أصوات مرور الهواء بين الزروع والأشجار) مَن الذي خلقها ولماذا؟.
- **اجعلوهم يشاهدون فن الكون وبديع صنعه**.. نَمُّوا الجمال في وجدانهم، فبالجمال تتهذب النفوس..
- **علموهم أنهم أصحاب رسالة ومسئولية في هذه الحياة**.
- **علموهم أن تقدم الوطن يتوقف على الأداء الحضاري المتميز لمجموع المواطنين**.
- علموهم **أن الحب**؛ (حب الله تعالى، وحب رسوله الكريم، وحب الناس، وحب الوطن)، كل ذلك **ركن في الإيمان** ودليل على صدقه..
- **علموهم برفق، ربوهم برفق، عودوهم على عبادة الله برفق، ولا تكونوا منفرين**، فعن أبي مسعود عقبة بن عمرو (رضي الله عنه) قَالَ رَجُلٌ: يا رَسولَ اللَّهِ إنِّي لَأَتَأَخَّرُ عَنِ الصَّلَاةِ في الفَجْرِ ممَّا يُطِيلُ بنَا فُلَانٌ فِيهَا، فَغَضِبَ رَسولِ اللَّهِ (ﷺ)، ما رَأَيْتُهُ غَضِبَ في مَوْعِظَةٍ كانَ أَشَدَّ غَضَبًا منه يَومَئِذٍ، ثُمَّ قالَ: (يا أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ مِنكُم مُنَفِّرِينَ، فَمَن أَمَّ النَّاسَ فَلْيَتَجَوَّزْ، فإنَّ خَلْفَهُ الضَّعِيفَ والكَبِيرَ وذَا الحَاجَةِ) [٢٨]، وعلى هذا نسير في كل أمورنا مع الأطفال بالرفق (بالراحة).

ملخص مسؤوليتنا نحو الطفولة:

وهكذا فإن الأطفال أمانة في أعناقنا، ومسؤوليتنا تجاههم تشمل:

- **التربية الأخلاقية والدينية**: يجب أن نغرس في نفوس أطفالنا حب الله تعالى ورسوله(ﷺ)، وتعاليم الإسلام السمحة، والفضائل الأخلاقية.
- **الحماية من المخاطر**: سواء كانت مخاطر مادية كالاستغلال والعنف، أو مخاطر فكرية كالأفكار الهدامة والوسائل الإعلامية الضارة.
- **تنمية مهاراتهم وقدراتهم**: من خلال التعليم الجيد، والخبرات الحياتية، وتشجيعهم على الإبداع والعمل الجاد.

ثالثا: العدل بين الأولاد

العدل بين الأولاد من القيم المركزية التي أكدت عليها الشريعة الإسلامية، يحمي الأسرة، ويحقق التآلف والمودة بين أفرادها. يقول الحق تبارك وتعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ....) (النحل: ٩٠)..

هذه الآية توضح صور العدل، بما في ذلك العدل بين الأولاد، والعدل بين الأقرباء، والأولاد أحق الناس بالعدل، ذلك أن التفرقة بين الأولاد تُوجِد الحقد والعداوة بينهم.

وحذر النبي العظيم من تمييز أحد الأولاد بالعطية أشد التحذير. فعن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) قال: أَعْطَانِي أَبِي (عَطِيَّةً)، فَقالَتْ عَمْرَةُ بنْتُ رَوَاحَةَ: لا أَرْضَى حتَّى تُشْهِدَ رَسولَ اللَّهِ (ﷺ)، فأتَى رَسولَ اللَّهِ (ﷺ)، فَقالَ: إنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِن عَمْرَةَ بنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فأمَرَتْنِي أنْ أُشْهِدَكَ يا رَسولَ اللَّهِ، قالَ: أعْطَيْتَ سَائِرَ ولَدِكَ مِثْلَ هذا؟ قَالَ: لَا، قالَ: فَاتَّقُوا اللَّهَ واعْدِلُوا بيْنَ أوْلَادِكُمْ، قالَ: فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ [٢٩].

رابعا: حماية الأطفال من أخطار التكنولوجيا والذكاء الاصطناعي وما يستجد

ندائي للجماهير في كل مكان... أقول بكل صراحة ووضوح:

---

(٢٨) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٢٩) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

استعينوا بالله على تربية أولادكم، واستعينوا بالصبر والدعاء...

- **كونوا واقعيين واعلموا أنكم لن تستطيعوا أن تبعدوا التكنولوجيا عن أولادكم، ولن تتمكنوا من منعهم من التعامل معها.** ولكن يمكنكم، منذ الصغر، أن تمنحوهم التربية والتحصين؛ ليصبح الطفل محصنًا ذاتيًّا، قادرًا على عمليات الفرز والانتقاء والغربلة، والتمييز بين الصواب والخطأ، واختيار الصواب دائمًا.
ويجب الأخذ في الاعتبار أن **التوجيه المفرط لا يأتي بالنتائج المرجوة**، وأن التعنيف لا يحقق المطلوب، بل قد يسببُ أضرارًا كبيرة للطفل.
- **نعلمهم الاعتماد على النفس وهم صغار** نعاملهم كأنهم رجال، كما كان النبي (ﷺ) يفعل مع الصغار، وقد أشرنا إلى ذلك منذ قليل؛ لنغرس فيهم قيم المسؤولية، مع مراعاة متطلبات كل مرحلة عمرية.
- **أهمية القدوة في حياة الطفل**، فالقدوة مهمة في البيت، في الشارع، في المؤسسات التعليمية، في المسجد، وفي الإعلام. ومن الأبيات المنسوبة لأبي العلاء المعري في سياق الحكمة والتربية:

مَشى الطَّاووسُ يَومًا باختِيالٍ *** فَقَلَّدَ شكلَ مَشيتَهُ بَنـوهُ
وينشأُ ناشِئُ الفِتْيانِ مِنَّا *** على ما كانَ عوَّدَهُ أبوهُ

- **تعزيز صلة الطفل بلغته الأم**، الاهتمام باللغات الأخرى أمر جميل وجيد، لكن من العيب أن يُجيد الطفلُ اللغات الأجنبية ولا يستطيع التحدث بلغته العربية. **ومن المؤسف جدًا أن تمنع بعض المدارس الآباء والأمهات من التحدث مع أطفالهم باللغة العربية في البيت، بحجة أن يكون الحديث العائلي باللغات الأخرى فقط.** هل هذا يرضي الله؟ أقولها بكل وضوح: **لسنا ضد تعلم اللغات**، بل ندعو إلى تعلمها كما فعل النبي (ﷺ) بشرط أن نمكّن أبناءنا من لغتهم الأم أولًا.
وإن ما يحدث الآن من إقصاء اللغة العربية في أوساط اجتماعية كثيرة **أمر مخيف. نحن أمام مستقبل مجهول، أمام سلب لهويتنا وتاريخنا وأدبنا ولغة ديننا.** كيف يمكن للطفل الذي لا يعرف لغته أن يعبد ربه، يقرأ القرآن والسنة، ويطّلع على التاريخ والأدب العربي وهو لا يعلم شيئًا عن لغته؟ بل إنه لا يستطيع حتى أن ينطقها!

في حين يأتي لتعلم اللغة العربية طلاب وافدون من حوالي ١٤٠ دولة في الأزهر الشريف، ويبلغ عددهم ستون ألف طالب وطالبة.

ما الذي يحدث يا سادة: هل نحن نربي أولادنا ليصبحوا غرباء عن دينهم، عن وطنهم، وهنا يجب أن يكون لنا وقفة مخلصة مع النفس...

- **دور الدولة والمؤسسات المعنية:** إن واجب الدولة ومؤسساتها عظيمٌ جدًّا. ويجب عليها توظيف الدراما، ووسائل التربية والإعلام والثقافة، والمؤسسات الدينية لمعالجة هذه القضايا، مع التركيز على الدراما نظرًا لتأثيرها الكبير جدًّا في الحفاظ على هوية أطفالنا ولغتهم وانتمائهم للوطن.
- أخبرني أحد خبراء الإعلام: "إعلامنا لم ينتج برامج للأطفال منذ حوالي ٢٥ عامًا!".
- وهل تركنا أبناءنا لغيرنا يعبثون بعقولهم ويبثون فيها ما يريدون؟

لدينا نماذج ممتازة وقصص نجاح وعطاء.. قصص ملهمة تمثل قدوات يمكن أن تكون مادة خصبة للدراما والألعاب وأفلام الكرتون، والألعاب الإلكترونية وغيرها، بحيث تعزز ارتباط الأطفال بوطنهم ودينهم وهويتهم. ومن ذلك:

- سيدنا محمد (ﷺ) عمل في التجارة للسيدة خديجة وهو صغير، وضرب أروع الأمثلة في الصدق والأمانة.
- صلاح الدين الأيوبي قائد عسكري ومؤسس الدولة الأيوبية، اشتهر بتوحيد المسلمين واستعادة القدس من الصليبيين بعد معركة حطين عام ١١٨٧م. وتميّز بشجاعته وعدله، وكان رمزًا للفروسية والتسامح حتى مع أعدائه.
- الدكتور طه حسين، الذي عاش طفولة صعبة وتحدى المستحيل ليبهر العالم بعلمه وإنتاجه.
- الدكتورة سميرة موسى عالمة فيزياء نووية مصرية، وأول معيدة في كلية العلوم بجامعة القاهرة. اشتهرت بدورها الريادي في الدعوة لاستخدام الطاقة النووية للأغراض السلمية، لكنها توفيت في حادث بالولايات المتحدة عام ١٩٥٢م.
- والسيدة/ لطيفة النادي، وهي ثاني امرأة تقود طائرة في العالم بعد سيدة أمريكية.
- الدكتور أحمد زويل، أشهر عالم مصري أفاد العالم، والحائز على جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٩٩، أحدث ثورة علمية باكتشافه "كيمياء الفيمتو". وقد أسهم هذا الاكتشاف في تطوير تقنيات دقيقة لدراسة التفاعلات الكيميائية في زمن قياسي وبدرجة عالية من الدقة، مما أفاد مختلف المجالات، خاصة تطوير الأدوية والتقنيات الصناعية.

ولدينا شخصيات عظيمة كثيرة جدا يمكن أن تكون قدوات صالحة وملهمة ما إذا أحسنّا توظيفها في الدراما والألعاب الإلكترونية للأطفال والنشء.

- **التعليم ودور المعلم:** كان المعلم قديمًا قدوة عظيمة، حيث كان الطفل ينتقل من حضن والديه إلى حضن المعلم المربي. أما الآن، ومما يؤسف له أن نرى معلمين يدخنون مع تلاميذهم، بل ويُشعلون لتلاميذهم السجائر!!.

نحن أمام منعطف تاريخي

- إما أن نقود مبادرة وطنية للحفاظ على أغلى ما نملك –أطفالنا، هدايا الله لوطننا– وإما أن نخسر كثيرًا.
- وحسنًا فعلت الحكومة المصرية ممثلةً في وزارة الأوقاف المصرية عندما أطلقت مبادرة مهمة جدا جاءت في وقتها وأوانها وهي إنشاء الكتاتيب في ربوع مصر. والتي أصبحت ضرورة دينية ووطنية وإنسانية. نسأل الله أن يكتب لها النجاح والتوفيق، وعلينا جميعًا التفاعل معها لتحقيق أهدافها النبيلة.

رسالتي للمسلمين في كل مكان: من هذا المقام المبارك أدعوكم إلى ما يلي:

- **تعاملوا مع أطفالكم بشكل إيجابي**: وذلك ببناء علاقة قائمة على الاحترام والحب مع الأطفال، واللجوء إلى الحوار الهادئ، وتجنب العنف بجميع أنواعه (لفظي، بدني، معنوي)، وامدحوا الطفل وشجعوه حتى عند أقل إنجاز إيجابي، وركزوا على إبراز صفاته الإيجابية.. ومنحه مساحة للاختلاف وقبول الأسئلة الغريبة حول الدين أو الهوية أو القيم.
- **اتركوا النقد واللوم**: ابتعدوا عن التوبيخ والإهانة، وتجنب العبارات السلبية مثل "أنت فاشل" أو "أنت كارثة.." ابتعدوا عن النقد والمقارنة مع الآخرين، وعن العقوبات العنيفة، وقَوِّموا بطرق تربوية معتدلة مثل حرمانه من بعض الامتيازات، واعتذروا له عند توجيه أي خطأ أو عنف تجاه الطفل.
- **نظموا وقت الشاشة**: بتحديد وقت استخدام الشاشات (من ساعة إلى ساعتين يوميًّا فقط) تحت إشراف الوالدين، وتشجيع الأنشطة البدنية والاجتماعية والترفيهية خارج المنزل.
- **تواصلوا مع أطفالكم والعبوا معهم**: وخصصوا وقتا من وقتكم لمشاركة الطفل اللعب ، وساعدوا الطفل على تكوين علاقات حقيقية بعيدًا عن الواقع الافتراضي.
- **تابعوا استخدامهم للإنترنت**: ومن ذلك تشديد الرقابة، واستخدام برامج الحماية، وتشجيع الطفل على تصفح المواقع المفيدة، والإبلاغ عن أي محتوى غير لائق، وعلموا الأطفال ضوابط السلامة النفسية والاجتماعية، ومنع الألعاب العنيفة والمحتويات غير الأخلاقية.
- **كونوا قدوة حسنة في الأخلاق والسلوك، ووفروا بيئة داعمة ومشجعة لنمو شخصية الصغير** (٣٠).
- **وعليكم بملازمة الدعاء خاصة في أوقات الإجابة كثلث الليل الأخير، وأثناء السجود ، ويوم الجمعة** ؛ بأن يصلح أولادكم وأولادنا، وأن يهديهم إلى الطريق المستقيم، قال الله تعالى: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا) (الفرقان ٧٤) .

نسأل الله السلامة لنا ولأولادنا، وأن يوفقنا للحفاظ على ديننا وهُويتنا ولغتنا، وأن يجعلنا ممن يخدمون لغة القرآن الكريم. اللهم احفظ مصر شرقها وغربها، شمالها وجنوبها، طولها وعرضها وعمقها، بحارها وسماءها ونيلها، ووفق يا ربنا قيادتها وجيشها وأمنها وأزهرها الشريف، وعلماءها، واحفظ شعبها، وبلاد المحبين يا رب العالمين، اللهم اشف مرضانا وارحم موتانا. نسأل الله أن يوفقنا لرعاية أجيالنا، وأن يجعل أبناءنا قرة أعين لنا في الدنيا والآخرة. وصلِّ اللهم وسلِّم وبارِك على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين...

خادم الدعوة والدعاة الدكتور/ أحمد علي سليمان
عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية والحاصل على المركز الأول على مستوى الجمهورية في خدمة الفقه والدعوة (وقف الفنجري ٢٠٢٢م)
المدير التنفيذي السابق لرابطة الجامعات الإسلامية- عضو نقابة اتحاد كُتَّاب مصر
واتس آب: ٠١١٢٢٢٢٥١١٥ بريد إلكتروني: drsoliman٥٥٥٥٥@gmail.com

يُرجى من السادة الأئمة والدعاة متابعة الصفحة الرسمية، وعنوانها: (معارج الدعاة الدكتور أحمد علي سليمان)؛ لمتابعة كل جديد
https://www.facebook.com/drahmedalisoliman/

(٣٠) لمزيد من المعلومات والتوجيهات، يراجع: منشورات ونشاطات المجلس القومي لرعاية الطفولة والأمومة، https://nccm.gov.eg